زيارة الصحابي جابر بن عبدالله الأنصاري للإمام الحسين

د. خالد غفوري الحسني

قم المقدسة /جامعة المصطفى العالمية

m_qafory2005@yahoo.com

ملخص البحث:

زيارة الأربعين من الشعائر الدينية المهمّة لمريدي الحسين ﷺ وتُعدّ أيضًا من المناسبات الوطنية الكبرى في الشرق الأوسط بل في العالَم كلّه، وقد اكتسبت أخيرًا طابعًا إنسانيًا وعالميًا تجاوز حدود البلدان والجنسيات والقوميات والانتماءات الدينية، وفي الوقت نفسه يتعرّض هذا المؤتمر الجماهيري العالمي بين الفينة ولأُخرى إلى هجمات المشكّكين، وأحد مجالات تثبيت وديمومة هذا المؤتمر الجماهيري العالمي هو دراسة الوثائق والمستندات التاريخية له من الناحية النظرية، ومن جملة هذه الوثائق المهمّة في دراسة زيارة الأربعين هي زيارة الصحابي الجليل جابر بن عبدالله الأنصاري لقبر الإمام الحسين ﷺ في يوم الأربعين، ولكن ثمّة تساؤلات تحوم حولها، منها: تعيين المدة التي تمكّن فيها جابر الأنصاري من القيام بهذه الزيارة، وتبيين الدوافع التي دفعته للقيام بتلك الزيارة، وتعيين مناشئ النمط السلوكي الذي مارسه في الزيارة . هذا ما عقدنا العزم على دراسته طبقًا للمنهج الوصفي التحليلي واستنادًا إلى المصادر والشواهد المتاحة . والهدف هو الكشف عن مدى عراقة الخلفية التاريخية لهذه الزيارة وتعزيز أصالتها، والردّ غير المباشر على بعض التشكيكات. .

الكلمات المفتاحية : زيارة الأربعين ، زيارة الإمام الحسين ، قبر الإمام الحسين ، زيارة جابر ، جابر بن عبدالله الأنصاري .

“The Ziara of the companion Jabir ibn Abdullah Al-Ansari to Imam Hussein”

“Dr. Sheikh Khalid Ghafouri Al-Husseini
Al-Mustafa International University”

Abstract

“The Ziyarat AL-Arbaeen a significant religious ritual for Hussein’s followers, has evolved into a major global event transcending nationalities, ethnicities, and religious boundaries. Despite its universal appeal, this global assembly faces occasional skepticism and criticism. One crucial aspect ensuring its stability and endurance is the scholarly study of historical documents, particularly focusing on the visit of the esteemed companion Jabir ibn Abdullah al-Ansari to Imam Hussein’s grave on the day of Arbaeen. Questions surrounding the timing, motivations, and behavioral patterns of Jabir’s visit are key areas under analytical study using available sources. The primary aim is to authenticate the historical background of this visit, reinforcing its authenticity while indirectly addressing doubts.”

Key words : terms include The Ziyarat AL-Arbaeen, Imam Hussein’s visit, Imam Hussein’s grave, Jabir’s visit, and Jabir ibn Abdullah al-Ansari.

مقدّمة :

إنّ إحدى زيارات الإمام الحسين ﷺ الواردة في يوم الأربعين، والتي تمّ نقلها في المصادر القديمة هي الزيارة المنقولة عن الصحابي الجليل جابر بن عبدالله الأنصاري، الذي كان من الشخصيات البارزة في تراثنا الإسلامي العامّ والخاصّ، وقد أثنى عليه كلّ مَن ترجم له من الرجاليين، وكان من خواصّ أئمّة أهل البيت ﷺ، ورغم ذلك لم تحظَ هذه الزيارة بالاهتمام اللائق بها ولاسيما من الناحية النظرية ؛ فلم تتمّ دراستها على نحو وافٍ وعميق .

وقد عقدنا العزم على دراسة هذه الزيارة من ناحية بيان مصادرها الأوّلية والثانوية، ومن ناحية تعيين سلسلة رواتها، ومن ناحية مدى اعتبارها سندًا، ومن ناحية دراسة ما قام به جابر من آداب وسلوكيات لدى زيارته، ومن ناحية إبراز المضمون والمحتوى الذي توفّرت عليه مقاطع الزيارة، وتقويم ذلك، ومن ناحية بيان أبعاد زيارة الحسين ﷺ فيها، ولاسيما بلحاظ ما تلاها من بيانات منه .

الهوية الشخصية :

هو جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام [= حزام] بن ثعلبة بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن تزيد بن جشم بن الخزرج الأنصاري المدني الخزرجي، وكان له ثلاثة أولاد، وهم : عبدالرحمن ومحمد وعبدالله، ومن هنا اختُلف في كنيته فقيل : أبو عبدالله، وقيل : أبو عبدالرحمن، وقيل : أبو محمد، من مشاهير الصحابة (العصفري، ١٤١٤هـ : ٤٣٢ – ٤٣٣ . والرازي، ١٣٧١هـ، ٢ : ٤٩٢، رقم ٢٠١٩ . والخطيب التبريزي، بدون تاريخ : ٣٣، ٦٠ .

وابن حجر، بدون تاريخ، ١ : ٥٤٦، رقم ١٠٢٧ . والطبري، ١٣٥٨ هـ : ٢٩)، وختم الحجّاج في يده إذلالًا له (ابن الأثير، بدون تاريخ، ٢ : ٣٦٦) . مات سنة ثمان وسبعين في خلافة عبدالملك بن مروان، وقيل : سنة ستّ وسبعين، وكان آخر مَن مات من الصحابة في المدينة المنوّرة (والطوسي، ١٤٠٤ هـ، ١ : ٢١٧، رقم ٨٨. والطوسي، ١٤١١هـ : ٣١ – ٣٢، رقم ١٣٣ . والمسعودي، بدون تاريخ، ٢ : ١١٥ . وابن سعد، بدون تاريخ، ٥ : ١١٢ والطبري، ١٣٥٨ هـ : ١٢٦ . والخطيب التبريزي، بدون تاريخ : ٣٣، ٦٠ . الدينوري، ١٩٦٠ م : ٣١٦)، وله من العمر ٩٤ سنة، وقيل : سبع وتسعون . وقيل : آخرهم في المدينة سهل بن سعد أو السائب بن يزيد (الخطيب التبريزي، بدون تاريخ : ٣٣، ٦٠ . والدينوري، ١٩٦٠ م : ٣١٦ . والشهيد الثاني، ١٤٠٨ هـ : ٢٤٤)، وقد كان ذهب بصره آخر عمره (البخاري، ١٤٠٦ هـ، ١ : ٢٢٤ . والمسعودي، بدون تاريخ، ٢ : ١١٥)، وقد صلّى عليه أبان بن عثمان وهو والٍ، وحكى البخاري في تاريخه : أنّه صلّى عليه الحجّاج (الخراساني الكرباسي، ١٤٢٥ هـ : ٥٣٩، ١٧ . والبخاري، ١٤٠٦ هـ، ١ : ٢٢١).

مكانة جابر الدينية :

لقد امتازت شخصية جابر بن عبدالله الأنصاري بجملة من الامتيازات التي تجعل مكانته الدينية مكانة مرموقة قلّ نظيرها في تاريخنا الإسلامي، منها :

١.كونه صحابيًا كما نصّت المصادر الرجالية وكتب التراجم على ذلك، وروى عن النبيﷺ، وكان من المكثرين، وروى عنه خلق كثير، وكان من السابقين إلى الإسلام ؛ فإنّه كان من السبعين ليلة العقبة، وكان من أصغرهم سنًّا يومئذٍ، وبايع النبي بيعة الرضوان في الحديبية (البرقي، ١٣٨٣هـ.ش: ٢ . والطوسي، ١٤١١هـ : ٣١ – ٣٢،

رقم ١٣٣ . والطوسي، ١٤٠٤ هـ، ١ : ٢١٧، رقم ٨٧ . والعجلي، ١٤٠٥ هـ، ١ : ٢٦٤، رقم ٢٠٤ . والرازي، ١٣٧١هـ، ٢ : ٤٩٢، رقم ٢٠١٩ . وابن الأثير، بدون تاريخ، ١ : ٢٥٦ – ٢٥٧ . والخطيب التبريزي، بدون تاريخ : ٣٣، ٦٠ . وابن حجر، بدون تاريخ، ١ : ٥٤٦، رقم ١٠٢٧ . وابن حنبل، ١٤٠٨ هـ، ٣ : ٢٣٤، رقم ٥٠٢٧ . والطبري، ١٣٥٨ هـ : ٢٩ . وأبو طالب القاضي، ١٤٠٩ هـ : ٢٦٢، رقم ٤٧٩) والمسمّاة ببيعة الشجرة، قال تعالى :﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (الفتح : ١٨).

٢.عاصر جابر الأنصاري خمسة من الأئمّة ﷺ وكان من أصحابهم وروى عنهم، ﷺ، وهم : أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، وأبو محمد الحسن الزكيّ ﷺ، وأبو عبدالله الحسين ﷺ، وعلي بن الحسين زين العابدين ﷺ (الطوسي، ١٤١١هـ : ٥٩، ورقم ٤٩٨، ٩٣، ورقم ٩٢١، ٩٩، ورقم ٩٦٤، ١١١، ورقم ١٠٨٧).

٣.كان من أصحاب السرّ، والشاهد على ذلك مضامين رواياته التي رواها، فهو من الأربعة الذين انتهى إليهم علم الأئمّة ﷺ، وكانت له علاقة خاصّة بأهل البيت ﷺ حتى كان يدخل على سيّدة النساء، ويتحدّث معها، ويأخذ منها بعض المستندات الخصوصية جدًّا، كما تدلّ عليه أخبار اللوح (الخوئي، ١٤١٣ هـ، ٤ : ٣٣٣، و٢١ : ٢١٣ . والصدوق، ١٤٠٥هـ : ٣٠٨ – ٣٠٩، ب ٢٨، ح ١) وغيره . وكان جليل القدر، قال العلامة المجلسي في ترجمته بأنّه ثقة وجلالته أجلّ من أن يحتاج إلى البيان (العلامة المجلسي، ١٤٢٠ هـ : ٤٢، رقم ٣٣٠).

٤.كان مجاهدًا بما للكلمة من معنى اشترك في عدد كبير من الغزوات، ثماني عشرة غزوة مع النبي ﷺ، وشهد بدرًا، وفي خبر تسع عشرة غزوة ويظهر من ابن حبّان أنّ التسع عشرة ما عدا بدر، وفي نقل ثالث : ستّة عشر، ولم يشهد أُحدًا ؛ لأنّ أباه خلّفه على أخواته

وكنّ تسعًا أو سبعًا . وشهد مع علي عليه السلام صفين (الطوسي، ١٤١١هـ : ٣١ – ٣٢، رقم ١٣٣ . وابن حنبل، ١٤٠٨ هـ، ١ : ٤٠٨، رقم ٨٤٦ . والبخاري، ١٤٠٦ هـ، ١ : ٢٢٤ . والبخاري، ١٤١١ هـ، ٢ : ٢٠٧، رقم ٢٢٠٨ . وابن حبّان، ١٤١١ هـ : ٣٠، رقم ٢٥ . والطبري، ١٣٥٨ هـ : ٢٩ . والطبري، بدون تاريخ، ٢ : ٢١١ . وابن الأثير ، بدون تاريخ، ١ : ٢٥٦ – ٢٥٧) .

مصادر زيارة جابر :

إنّ المصدر الأوّل لهذه الزيارة بحسب ما بأيدينا من وثائق، هو كتاب بشارة المصطفى لشيعة المرتضى للشيخ الأجلّ عماد الدين الطبري، وهو من علماء القرن السادس، فقد روى عن بعض مشائخه في سنة ٥٠٣ إلى سنة ٥٣٤، وكان حيًا سنة ٥٥٣، ويُعرف من تتبّع الراوين عنه وممّن روى عنهم أنّه قد عمّر عمرًا طويلًا (ينظر : الطبري، ١٤٢٠ هـ : ١٢٤٥ – ٦) .

ورواها عنه فيما بعدُ العلامةُ المجلسي في البحار (العلامة المجلسي، ١٤٠٣ هـ، ٩٨ : ١٩٥، ح ٣١) وفي زاد المعاد (العلامة المجلسي، ١٤٢٣هـ : ٥٢٩) . وقد سبقهم جميعًا شيخ الطائفة [ت = ٤٦٠ هـ] حيث أشار إليها في مصباحه (الطوسي، ١٤١٧هـ، ٢ : ٧٨٧) .

سند زيارة جابر :

وإليك سلسلة السند : روى الطبري عن مُحَمَّدُ بْنُ شَهْرَيَارَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبُرْسِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ الْقُرَشِيِّ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ محمد [= أَحْمَدَ] بْنِ عِمْرَانَ الأسدي عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْمُقْرِي عَنْ عُبَيْدِاللهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْإِيَادِيِّ عَنْ عُمَرَ بْنِ مُدْرِكٍ

عَنْ يحيى [= مُحَمَّدِ] بْنِ زِيَادٍ الْمَكِّيِّ عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِالْحَمِيدِ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ عَطِيَّةَ الْعَوْفِيِّ (الطبري، ١٤٢٠ هـ : ١٢٤ - ١٢٦، ح ٧٢) .

تقويم الزيارة من ناحية السند والاعتبار :

- أوّلاً : إنّ الرواية ليست مرسلة، بل هي مسندة.
- ثانياً : إنّ سند هذه الرواية لافت للنظر من حيث كثرة الرجال الرواة فيه ؛ فإنّ مجموع حلقات السند بلغ اثني عشر راويًا ؛ ومن الواضح أنّ الروايات والأخبار المختلقة والمفتعلة يسعى واضعوها إلى تقصير سلسلة السند.
- ثالثاً : إنّ رجال السند - كما ترى - كلّهم من أجلاء الإمامية ومن كبار العلماء والمحدّثين وممّن نهل من علوم أهل البيت ﷺ، ورووا فضائلهم ﷺ، ولم يقدحوا في وثاقتهم وصدقهم في أنفسهم بل قدح بعض رجالي أهل السنّة ناشئ من تعصّبات مذهبية غير موضوعية . وهذا كافٍ في اعتبار السند وإن لم ينصّوا على توثيقهم طرًّا.
- رابعاً : إنّ الشيخ الجليل عماد الدين الطبري هو من أجلّة علماء الشيعة، تلمّذ عليه كبار الرجاليين كمنتجب الدين بن بابويه وابن شهرآشوب، وعاش في مدة كانت العناية بالسند من قِبَل الشيعة والسنّة أمرًا مطلوبًا، فمن المستبعد أن يعتمد على ما لا اعتبار به من الأحاديث والرواة .
- خامساً : إنّ دواعي الكذب غير موجودة، فمضمونها يتضمّن أمرًا عاديًا جدًّا، وهو قصّة زيارة جابر الأنصاري لقبر الإمام الحسين عليه السلام .
- سادساً : لقد أشار الشيخ الطوسي إلى زيارة جابر في مصباحه بنحو الإجمال (الطوسي، ١٤١٧هـ، ٢ : ٧٨٧) وإن لم يذكر نصّها وتفاصيل القصّة، ممّا يدلّ على معروفية ذلك بين علماء الإمامية، ولاسيّما إذا التفتنا إلى تقدّم الشيخ الطوسي على عماد الدين الطبري .

- سابعاً : إذا نُوقش في اعتبار السند فإنّنا نقول:

١. تارة تُلحظ الرواية من حيث كونها سندًا شرعيًا يُراد الاستناد إليه في عمليات استنباط الحكم الشرعي أو يُراد إثبات قضية دينية عقدية كانت أو أخلاقية أو غيرهما، وفي هذه الحالة قد يكون للتردّد في سندها وجه، وإن كان على مبنانا إمكانية الاعتماد عليها.

٢. واُخرى يُنظر إليها من حيث كون القصّة مستندًا مؤيِّدًا، أي : كونها مؤيّدًا لعراقة ومعروفية زيارة الأربعين الثابتة بطرق اُخرى غير زيارة جابر . ومن الواضح صلاحيتها لذلك .

٣. وثالثة تُلحظ الرواية بما هي خبر تاريخي، وحينئذٍ لا ريب في اعتبارها ؛ فإنّ المؤرّخين يعتمدون على ما هو أدنى من ذلك سندًا بكثير، بل إنّ أكثر ما يروونه من المراسيل والأخبار غير المسندة، كما لا يخفى على مَن له أدنى خبرة بكتب التاريخ .

إشكال وجواب :

قد يُقال : لماذا لم يعتن علماؤنا بهذه الزيارة، ويندر مَن ينقلها بعد الطبري ؟ ! ألا يُستفاد من ذلك عدم اعتبارها عندهم ؟

فإنّه يُقال : إنّ عدم نقلها من قِبَل أكثرهم بسبب كونها زيارة لجابر بن عبدالله الأنصاري، ولم ينسبها إلى أحد المعصومين عليهم السلام، وتوجد زيارة في يوم الأربعين مروية عن المعصوم بحسب الظاهر، ومعتبرة سندًا، وهي رواية صفوان الجمّال، فلا حاجة إذن لهم بنقل زيارة جابر الأنصاري . ولذا ترى أنّهم اكتفوا بنقل ما يرويه جابر عن المعصوم في غير ذلك من الموارد .

من أيّ مكان انطلق جابر للزيارة ؟

قال شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي في مصباحه : وَفِي الْيَوْمِ الْعِشْرِينَ مِنْهُ كَانَ رُجُوعُ حَرَمِ سَيِّدِنَا أَبِي عَبْدِاللهِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام مِنَ الشَّامِ إِلى مَدِينَةِ الرَّسُولِ صلى الله عليه وآله، وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي وَرَدَ فِيهِ جَابِرُ بْنُ عَبْدِاللهِ بْنِ حَرَامٍ الْأَنصارِيُّ – صَاحِبُ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وَرَضِيَ عَنْهُ – مِنَ الْمَدِينَةِ إِلى كَرْبَلَاءَ لِزِيَارَةِ قَبْرِ أَبِي عَبْدِاللهِ عليه السلام، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ زَارَهُ مِنَ النَّاسِ ، ثم قال الشيخ : ويستحب زيارته عليه السلام فيه، وهي زيارة الأربعين (الطوسي، ١٤١٧هـ، ٢ : ٧٨٧).

المستفاد من كلام الشيخ الطوسي المذكور أنّ جابرًا جاء من المدينة إلى كربلاء، بل كلامه صريح في ذلك .

لكن المستظهر أنّه كان في الكوفة، ومنها تحرّك صوب كربلاء، والشاهد على ذلك بعض القرائن :

١ .القرينة الأُولى : كلام الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء حينما استشهدهم على نفسه بأنّه ابن بنت رسول صلى الله عليه وآله وأنّ رسول الله قال بحقّه وحقّ أخيه الحسن بأنّهما سيّدا شباب أهل الجنّة، قال عليه السلام :[أوَ لم] يبلغكم ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله لي ولأخي : (هذان سيّدا شباب أهل الجنّة) ؟ ! فإن صدّقتموني بما أقول وهو الحقّ، والله ما تعمّدت كذبًا علمت أنّ الله

يمقت عليه أهله، وإن كذّبتموني فإنّ فيكم [مَن لو] سألتموه عن ذلك أخبركم: سلوا جابر بن عبدالله الأنصاري وأبا سعيد الخدري وسهل بن سعد الساعدي وزيد بن أرقم وأنس بن مالك، يخبرونكم أنّهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله صلى الله عليه وآله لي ولأخي، أما في هذا [حاجز لكم] عن سفك دمي ؟ ! (المفيد، ١٤١٢هـ، ٢ : ٩٨ .

والطبرسي، ١٤١٧ هـ، ١ : ٤٥٩ . والشامي، بدون تاريخ : ٥٥٢) .

ومن الواضح أنّ المستفاد من هذا النصّ أنّ هؤلاء الصحابة الذين ذكرهم الإمام الحسين عليه السلام كانوا موجودين في الكوفة آنذاك، وهو الظاهر من كلمة (فيكم) في قوله عليه السلام : (فإنّ فيكم مَن لو سألتموه عن ذلك أخبركم : سلوا ...)إذ من المستبعد أن يكون المراد ابعثوا في البلدان والأمصار الإسلامية النائية كمكّة والمدينة للسؤال من هؤلاء الصحابة الأجلاء ثمّ الرجوع بالجواب ونار الحرب على وشك الاشتعال، فإنّ سفر الفارس من كربلاء إلى مكّة أو المدينة لا يقلّ عن الشهر .

٢. الشاهد الثاني : لو افتُرض أنّ جابرًا لم يكن في الكوفة بل جاء من المدينة فمقتضى ذلك أنّه به حاجة إلى وقت طويل ؛ إذ إنّ وصول خبر شهادة الحسين عليه السلام إلى المدينة يستغرق ما لا يقلّ عن (٢٥) يومًا، أي : بعد حركة الجيش الأُموي مع السبايا من كربلاء إلى الكوفة في اليوم الحادي عشر فيما لا يقلّ عن (٤) أيّام، ومجيء جابر مع كبره وضعف بدنه يستغرق ما لا يقلّ عن ٢٥ يومًا، وعليه فأقلّ مدّة لوصول الصحابي جابر إلى كربلاء هي ما يُقارب الخمسين يومًا.

وعليه، فمن المستبعد وصول جابر في العشرين من صفر لو افترضنا مجيئه من المدينة.

فيكون من الراجح بل من المتعيّن حينئذٍ كون قدوم جابر من الكوفة، لا من المدينة المنوّرة.

٣. الشاهد الثالث : إنّ هؤلاء الصحابة وأمثالهم بما فيهم جابر بن عبدالله الأنصاري كانوا قد أقبلوا إلى الكوفة مع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إبّان خلافته، والظاهر أنّهم استقرّوا فيها.

- أمّا أبو سعيد الخُدْري، وهو سعد بن مالك بن سنان، مات سنة أربع وسبعين، وقيل : أربع وستّين (ابن حجر، بدون تاريخ، ٣ : ٦٥ – ٦٧، رقم ٣٣٠٤)، وقيل : ثلاث وستّين، وقيل : بعد الحرّة بسنة (الذهبي، ١٤١٠ هـ، ٣ : ١٧١، رقم ٢٨) . ونصّ ابن حجر على أنّه مات بالمدينة (ابن حجر، ١٤١٥ هـ، ١ : ٣٤٥، رقم ٢٢٦٠)، ودفن بالبقيع، وقد شهد مع علي عليه السلام الجمل وصفّين والنهروان (الطوسي، ١٤٠٤ هـ، ١ : ٢٠١، الهامش للداماد . وينظر : ابن عساكر، ١٤١٥ هـ، ٢٠ : ٣٨٣) .

- وأمّا سهل بن سعد الساعدي، أبو العباس سهل بن سعد بن مالك بن خالد، وكان اسمه حزنًا فسمّاه رسول الله صلى الله عليه وآله سهلًا، وعمّر عمرًا طويلًا حتّى أدرك الحجّاج بن يوسف وامتُحن معه (ابن الأثير ، بدون تاريخ، ٢ : ٣٦٦ .)، وختم الحجّاج في عنقه إذلالًا له برصاص (الطبري، بدون تاريخ، ٥ : ٣٥) سنة أربع وسبعين، مات سنّة ٨٨ أو ٩١ وهو ابن ستّ وتسعين أو مئة أو جاوزها، وهو آخر مَن مات في المدينة من الصحابة (المزّي، ١٤١٣ هـ، ١٢ : ١٩٠، رقم ٢٦١٢ . وابن حجر، بدون تاريخ، ٣ : ١٦٧، رقم ٣٥٤ . وابن حجر، ١٤١٥ هـ، ١ : ٣٩٩، رقم ٢٦٦٦ . وابن حجر، ١٤٠٤ هـ، ٤ : ٢٢٢، رقم ٤٤١).

- وأمّا زيد بن أرقم فقد شهد صفّين مع علي عليه السلام، ومات بالكوفة أيّام المختار سنة ستّ وستّين، وقيل : سنة ثمان وستّين (ابن حجر، بدون تاريخ، ٢ : ٤٨٧ – ٤٨٨، رقم ٢٨٨٠) . ويظهر من ذلك أنّه بقي في الكوفة، بل صرّح ابن الأثير بأنّه حين شهادة أبي عبدالله عليه السلام كان في الكوفة ؛ حيث كان حاضرًا في مجلس يزيد لمّا أُحضرت الرؤوس بين يديه وجعل ينكت بقضيب بين شفتي الحسين عليه السلام، فلمّا رآه زيد بن أرقم لا يرفع قضيبه قال له : اعلُ بهذا القضيب، فوالذي لا إله غيره لقد رأيت شفتي رسول الله صلى الله عليه وآله على هاتين الشفتين يُقبّلهما، ثمّ بكى، فقال له ابن زياد : أبكى الله عينيك، فوالله لولا أنّك شيخ قد خرفت لضربت عنقك،

فخرج وهو يقول : أنتم يا معشر العرب العبيد بعد اليوم، قتلتم الحسين بن فاطمة وأمّرتم ابن مرجانة، فهو يقتل خياركم، ويستعبد شراركم (ابن الأثير ، بدون تاريخ، ٢ : ٢١).

- د- وأمّا أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم، أبو حمزة خادم رسول الله (الطوسي، ١٤١١هـ، ٢١، رقم ٥)، وأُمّه أُمّ سليم بنت ملحان كانت تغزو مع النبي ﷺ(التستري، ١٤١٩ هـ، ١٢ : ٢٠٩، ٣٩)، وهو ممّن كتم الشهادة لأمير المؤمنين عليه السلام بتنصيب النبي ﷺ له يوم غدير خم عنادًا فدعا عليه فبرص، فحلف أن لا يكتم منقبة لعلي بن أبي طالب ولا فضلًا أبدًا (الطوسي، ١٤٠٤ هـ، ١ : ٢٤٧، ٩٥)، وكانت حادثة المناشدة وقعت في رحبة المسجد الجامع بالكوفة (ابن أبي الحديد، ١٣٧٨ هـ، ٤ : ٧٤ . وينظر : الأميني، ١٣٩٧ هـ، ١ : ١٩٣)، وقد ختم الحجّاج في عنقه إذلالًا له (ابن الأثير ، بدون تاريخ، ٢ : ٣٦٦)، مات سنة ٩١ أو ٩٢ أو ٩٣ أو ٩٩، وهو آخر مَن مات بالبصرة وله من العمر مئة وسنتان أو ثلاث سنين أو سبع سنين، وقيل : تسع وتسعون (الخطيب التبريزي، بدون تاريخ : ٢ . والخراساني الكرباسي، ١٤٢٥ هـ : ٥٣٦، رقم ٣) . الأنصاري، بدون تاريخ، ١ : ١٨ . وابن سعد، بدون تاريخ، ٧ : ٢٥ - ٢٦).

فظهر أنّ هؤلاء الصحابة الخمسة بما فيهم جابر بن عبدالله الأنصاري كانوا في الكوفة . ومن هنا طالب الإمام الحسين عليه السلام الجيش الأُموي بأن يستشهدوهم على حديث رسول الله ﷺ الصادر بشأنه وبشأن أخيه الحسن عليه السلام .

إذن، فظاهر ما ذكره الشيخ الطوسي من القول بقدوم جابر من المدينة إلى كربلاء (الطوسي، ١٤١٧هـ، ٢ : ٧٨٧) مستبعد جدًّا، ولا تدعمه الشواهد، بل كان قدومه من الكوفة (الطوسي، ١٤١٧هـ، ٢ : ٧٨٧) .

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
شعبان - ١٤٤٥ هـ آذار - ٢٠٢٤ م

تعيين تاريخ زيارة جابر :

عند مراجعة ما أورده الشيخ الطوسي + المتقدّم ؛ إذ قال : وَفِي الْيَوْمِ الْعِشْرِينَ مِنْهُ كَانَ رُجُوعُ حَرَمِ سَيِّدِنَا أَبِي عَبْدِاللهِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ مِنَ الشَّامِ إِلى مَدِينَةِ الرَّسُولِ ﷺ، وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي وَرَدَ فِيهِ جَابِرُ بْنُ عَبْدِاللهِ بْنِ حَرَامٍ الْأنصاريُّ – صَاحِبُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَرَضِيَ عَنْهُ – مِنَ الْمَدِينَةِ إِلى كَرْبَلَاءَ لِزِيَارَةِ قَبْرِ أَبِي عَبْدِاللهِ ﷺ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ زَارَهُ مِنَ النَّاسِ ﷺ، ثم قال الشيخ : (ويستحب زيارته ﷺ فيه، وهي زيارة الأربعين) (الطوسي، ١٤١٧هـ، ٢ : ٧٨٧)، يُستفاد منه الأُمور التالية :

١. أنّ جابرًا وصل كربلاء في العشرين من صفر .

٢. أنّ وصوله كان في سنة شهادة الحسين ﷺ نفسها، وليس في السنة التالية، ويشهد له توصيفه بأنّه أوّل مَن زار قبر الحسين ﷺ ؛ إذ لو افتُرض كون زيارته بعد عام فمن المستبعد عدم زيارة أحد لقبره خلال هذه المدة.

٣. يظهر من كلام الشيخ الطوسي أنّ وصول جابر كان مقترنًا مع مجيء حرم سيّد الشهداء ﷺ .

والذي أثبتناه في الفقرة السابقة هو كون وصول جابر في العشرين من شهر صفر في سنة شهادة الإمام الحسين ﷺ من دون ريب، ويدعم ذلك أيضًا بعض المؤشّرات التي وردت في رواية العوفي :

أوّلاً : إنّه بمجرّد أن وصل إلى القبر ووضع يده عليه، وقع مغشيًا عليه، كما ذكر عطية العوفي : ﷺ قَالَ : أَلْمِسْنِيهِ فَأَلْمَسْتُهُ فَخَرَّ عَلَى الْقَبْرِ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ، فَرَشَشْتُ عَلَيْهِ شَيْئًا مِنَ الْمَاءِ فَأَفَاقَ ... (الطبري، ١٤٢٠ هـ : ١٢٥، ح ٧٢)،ووقوع جابر مغشيًا عليه يكشف عن قرب زمان الفاجعة ؛ فإنّ عروض مثل هذه الحالة الشديدة من

التأثّر النفسي والانفعال العاطفي لا يحصل عادة مع الفاصلة الزمنية الطويلة كالسنة وما قاربها، فإنّ المصيبة مهما كانت عظيمة فإنّها يخفّ وقعها وتأثيرها بعد مدة .

ثانياً : نداؤه للإمام الحسين ثلاثًا : (قَالَ يَا حُسَيْنُ ثَلَاثًا . ثُمَّ قَالَ : حَبِيبٌ لَا يُجِيبُ حَبِيبَهُ) (المصدر السابق) ؛ فإنّ مثل هذه التصرّفات – كنداء المتوفّى باسمه وتكرار الاسم ثلاث مرّات – إنّما تصدر عادة من المفجوع الذي عرضت له الفاجعة قريبًا لا بعد فاصلة بسنة أو ما يزيد عليها، إذ بعد مرور مدة يرتكز في الذهن أنّ الميّت فارق عالمنا، وانتقل إلى عالم آخر، وهذا ما لا يتناسب مع خطابه وندائه كما يُخاطب الأحياء .

ثالثاً : جواب جابر لنفسه : (وَأَنَّى لَكَ بِالْجَوَابِ وَقَدْ شُحِّطَتْ أَوْدَاجُكَ عَلَى أَثْبَاجِكَ، وَفُرِّقَ بَيْنَ بَدَنِكَ وَرَأْسِكَ) (المصدر السابق) ؛ فإنّ الميّت لا يُجيب أحدًا مهما كان سبب موته سواء أكان قتلًا بالسيف ذبحًا أو طعنًا أو بالموت حتف الأنف . فهذه الكلمات الرقيقة إنّما تتلاءم مع كون المصيبة النازلة ليست بعيدة زمانًا.

وأمّا مسألة وصول حرم سيّد الشهداء في هذا التاريخ فمسألة أُخرى تحتاج إلى تحقيق مستقلّ، وسوف يتمّ بحثها في الموضع المناسب إن شاء الله تعالى، ولا يقدح ذلك في هذه النتيجة التي توصّلنا إليها.

هل إنّ جابراً كان مكفوفاً حين زيارته أوْ لا ؟

الظاهر من بعض الروايات أنّه كان صحيح البصر بعد واقعة كربلاء بمدة طويلة فضلًا عن زمان وقوعها أو ما أعقبها بقليل، أي : كان صحيح البصر إلى زمان

الإمام الباقر عليه السلام، فعن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال : قال أبي عليه السلام لجابر بن عبدالله الأنصاري : إنّ لي إليك حاجة، فمتى يخفّ عليك أن أخلو بك فأسألك عنها ؟ فقال له جابر : في أيّ الأوقات شئت . فخلى به أبو جعفر عليه السلام، قال له : يا جابر أخبرني عن اللوح الذي رأيته في [يدي] أُمّي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وما أخبرتك به أنّه في ذلك اللوح مكتوبًا . فقال جابر : أشهد بالله أنّي دخلت على أُمّك فاطمة ÷ في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله أُهنّئها بولادة الحسين عليه السلام، فرأيت في يدها لوحًا أخضر ظننت أنّه من زمرّد، ورأيت فيه كتابة بيضاء شبيهة بنور الشمس . فقلت لها : بأبي أنتِ وأُمّي يا بنت رسول الله، ما هذا اللوح ؟ فقالت : هذا اللوح أهداه الله عزّ وجلّ إلى رسوله صلى الله عليه وآله، فيه اسم أبي واسم بَعْلي واسم ابني وأسماء الأوصياء من ولدي فأعطانيه أبي ليسرّني بذلك . قال جابر : فأعطتنيه أُمّك فاطمة ÷، فقرأته وانتسخته، فقال له أبي عليه السلام : فهل لك يا جابر أن تعرضه عليّ ؟ قال : نعم، فمشى معه أبي عليه السلام حتّى انتهى إلى منزل جابر، فأخرج إلى أبي صحيفة من رقّ، فقال : يا جابر أُنظر أنت في كتابك لأقرأه أنا عليك، فنظر جابر في نسخته، فقرأه عليه أبي عليه السلام، فوالله ما خالف حرف حرفًا . قال جابر : فإنّي أشهد بالله أنّي هكذا رأيته في اللوح مكتوبًا ... (الصدوق، ١٤٠٥هـ : ٣٠٨ – ٣٠٩، ب ٢٨، ح ١)، وهو يدلّ بكلّ وضوح على أنّه كان يرى ويقرأ، ولم يكن ضعيف البصر فضلًا عن العمى، لأنّه قرأ الكتاب كما في ذيل الرواية المتقدّمة – فقال : يا جابر أُنظر أنت في كتابك لأقرأه أنا عليك، فنظر جابر في نسخته، فقرأه عليه أبي عليه السلام، فوالله ما خالف حرف حرفًا . قال جابر : فإنّي أشهد بالله أنّي هكذا رأيته في اللوح مكتوبًا ... .

في حين أنّ الظاهر من عبارات رواية زيارة الأربعين أنّه كان قد أعمي حينها،

فقد قال عطية العوفي : (حَتَّى إِذَا دَنَا مِنَ الْقَبْرِ قَالَ : أَلْمِسْنِيهِ فَأَلْمَسْتُهُ) (الطبري، ١٤٢٠ هـ : ١٢٥، ح ٧٢) ؛ فلو كان صحيح البصر، لما طلب من عطية أن يُلمسه القبر . ويدعمه ما ذكره أصحاب التراجم والرجاليين من أنّه عمي آخر عمره.

وحينئذٍ يقع التهافت والتعارض بين النقلين، فما الموقف تُجاه هذا الاختلاف ؟

الجواب :

لا تهافت بين الأمرين ؛ إذ من المحتمل أن يكون قد عمي آخر أيّام حياته، وهو الظاهر من كلماتهم . وإلا فكيف يُمكن معه قراءة النسخة ؟ ! وعليه، فلم يكن حين الزيارة مكفوف البصر.

وأمّا طلب جابر من عطية العوفي ان يُلمسه القبر فلا يدلّ على أنّه كان أعمى ؛ فإنّ الداعي الذي دعاه لطلب المعونة من عطية يُحتمل فيه عدّة من وجوه :

الوجه الأوّل : لعلّه ليس بسبب العمى، بل لعلّه لشدّة الحزن وكثرة البكاء ابيضّت عيناه أو غمرتهما العبرة في ذلك اليوم (الصدوق، ١٤٠٥هـ : ٣٠٩، الهامش٣)، كما يحدث لمَن يتعرّض لحادث جلل فيذهل ذهنه، ولا يكاد يرى ببصره.

الوجه الثاني : لعلّ ذهول جابر وعدم تركيز بصره كان بسبب القلق والاضطراب خوفًا من عيون السلطة التي كانت عازمة على إمحاء ذكر الحسين عليه السلام وأهل البيت صلى الله عليه وآله عمومًا، فلم تكن ترغب السلطة الغاشمة بتردّد الناس على قبره قطعًا ؛ بناءً على أنّ الزيارة كانت بُعيد عاشوراء بلا فاصلة زمنية كبيرة.

الوجه الثالث : لعلّه كان ذلك بسبب كبر سنّه وشيخوخته وهرمه، فلم يعد

يُميّز الأشياء بدقّة، ولاسيّما أنّ القبر الشريف كان بالعراء، ولم يكن ﷺ مدفونًا في مقبرة خاصّة معدّة للدفن حتّى تبرز القبور فيها وتكون شاخصة.

الوجه الرابع : لعلّه كان سبب ضعف بدنه بسبب طول السفر ووعثاء الطريق فأراد طلب الإعانة منه .

الوجه الخامس : لعلّه طلب منه إرشاده إلى القبر وعدم اهتدائه إليه ؛ نظرًا لوجود قبور أُخرى محاذية كقبر حبيب بن مظاهر وقبور سائر الشهداء .

إذن، فلا ينحصر الداعي لطلب العون من عطية هو فقدانه للبصر وعدم تمكّنه من الرؤية، بل هناك عدّة من احتمالات وجيهة تصلح لتفسير ذلك .

وعليه، فلا دلالة في رواية الطبري على كونه مكفوفًا في زمان زيارته للإمام الحسين ﷺ، بل كان صحيح البصر، وإنّما عمي آخر عمره . ويُؤيّد ذلك ما ورد فيها من أنّه جَالَ بِبَصَرِهِ حَوْلَ الْقَبْرِ وَقَالَ :(السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الْأَرْوَاحُ الَّتِي حَلَّتْ بِفِنَاءِ قَبْرِ الْحُسَيْنِ وَأَنَاخَتْ بِرَحْلِهِ ...) (الطبري، ١٤٢٠ هـ : ١٢٥، ح ٧٢)، فلو كان أعمى لما انسجم مع القول بأنّه جال ببصره، ووجّه خطابه إلى الشهداء .

الدوافع الكامنة وراء زيارة جابر :

إنّ زيارة الصحابي الجليل لقبر الإمام الحسين ﷺ ليس حدثًا عاديًا ؛ للأسباب التالية :

١. كبر سنّه وضعف بدنه، وعدم سهولة سفره من مكان إلى مكان ولاسيّما الأسفار الصحراوية إلا فيما إذا كان هناك غرض مهمّ وراجح لديه .

٢. إنّ قبر الإمام الحسين عليه السلام كان بعيدًا من الكوفة، ولم يكن في منطقة آهلة بالسكّان، ولا في مقبرة مخصّصة للدفن، كمقبرة البقيع كي تكون زيارة القبور أمرًا عاديًا.

٣. إنّ جلالة قدره وفقاهته تجعل تصرّفاته محسوبة ومنطلقة من دوافع دينية.

٤. إنّه لم يكتفِ بوصوله إلى القبر والتسليم على صاحبه وذرف الدموع عليه وفاءً للعلاقة العاطفية التي كانت بينه وبين المزور، بل إنّه قام ببعض الأعمال اللافتة للنظر قبل وصوله إلى القبر الشريف، وهي.

- الاغتسال من شاطئ الفرات.
- لبس ملابس نظيفة خاصّة كهيئة المحرِم في الحجّ بمئزر ورداء.
- تعطير الثياب والبدن.
- ذكر الله على توئدة في كلّ خطوة يخطوها.
- تكرار النداء للحسين عليه السلام.
- التفجّع والحزن على أبي عبدالله عليه السلام.
- زيارة الشهداء أيضًا وعدم الاكتفاء بزيارة الحسين عليه السلام حسب.

وقد حكى ذلك عطية العوفي الذي لفت انتباهه هذا السلوك الخاصّ فراح يصف ما رآه من جابر بمنتهى الدقّة، قال: (.. فَلَمَّا وَرَدْنَا كَرْبَلَاءَ دَنَا جَابِرٌ مِنْ شَاطِئِ الْفُرَاتِ فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ ائْتَزَرَ بِإِزَارٍ، وَارْتَدَى بِآخَرَ، ثُمَّ فَتَحَ صُرَّةً فِيهَا سُعْدٌ فَنَثَرَهَا عَلَى بَدَنِهِ، ثُمَّ لَمْ يَخْطُ خُطْوَةً إِلَّا ذَكَرَ اللهَ حَتَّى إِذَا دَنَا مِنَ الْقَبْرِ)(الطبري، ١٤٢٠ هـ: ١٢٥، ح ٧٢).

١. إنّ جابرًا لم يقتصر على إبراز عواطفه تُجاه الإمام الحسين عليه السلام، بل خاطب الإمام عليه السلام بخطاب مفصّل خاصّ.

٢. إنّه لم يقتصر على زيارة الإمام الحسين عليه السلام فقط، بل زار باقي الشهداء.

٣. إنّ العبارات التي استخدمها لفظًا ومضمونًا لم تبتعد كثيرًا عن الزيارات المأثورة عن المعصومين صلى الله عليه وآله وسلم.

٤. إنّه أشار بعد انتهائه من زيارته إلى فلسفة ما قام به من عمل وبيان علّته، كما يتّضح من خطابه لعطية العوفي بعد الزيارة :(يَا عَطِيَّةُ سَمِعْتُ حَبِيبِي رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم يَقُولُ : (مَنْ أَحَبَّ قَوْمًا حُشِرَ مَعَهُمْ، وَمَنْ أَحَبَّ عَمَلَ قَوْمٍ أُشْرِكَ فِي عَمَلِهِمْ) . وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ إِنَّ نِيَّتِي وَنِيَّةَ أَصْحَابِي عَلَى مَا مَضَى عَلَيْهِ الْحُسَيْنُ وَأَصْحَابُهُ . خُذُونِي نَحْوَ أَبْيَاتِ كُوفَانَ ....، وكذا حديثه التالي، قال عطية : فَلَمَّا صِرْنَا فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ فَقَالَ لِي : يَا عَطِيَّةُ هَلْ أُوصِيكَ وَمَا أَظُنُّ أَنَّنِي بَعْدَ هَذِهِ السَّفْرَةِ مُلَاقِيكَ . أَحْبِبْ مُحِبَّ آلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم مَا أَحَبَّهُمْ، وَأَبْغِضْ مُبْغِضَ آلِ مُحَمَّدٍ مَا أَبْغَضَهُمْ وَإِنْ كَانَ صَوَّامًا قَوَّامًا، وَارْفُقْ بِمُحِبِّ آلِ مُحَمَّدٍ ؛ فَإِنَّهُ إِنْ تَزِلَّ قَدَمٌ بِكَثْرَةِ ذُنُوبِهِمْ ثَبَتَتْ لَهُمْ أُخْرَى بِمَحَبَّتِهِمْ، فَإِنَّ مُحِبَّهُمْ يَعُودُ إِلَى الْجَنَّةِ، وَمُبْغِضَهُمْ يَعُودُ إِلَى النَّارِ صلى الله عليه وآله وسلم (المصدر السابق : ١٢٦، ح ٧٢) .

والذي ينقدح في الذهن أنّ الدوافع لزيارته هي ما يلي:

أوّلاً : إنّ مدة إسلامه وملازمته للنبي صلى الله عليه وآله وسلم تُتيح له سماع جملة وافرة من أحاديثه ؛ لأنّه كان من الصحابة الأوائل الذين سبقوا إلى الإيمان كما هو مسجّل في ترجمته وكان مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في جملة من غزواته، ولا يخفى أنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم كان قد تحدّث لأصحابه عن فضيلة زيارة قبر الحسين عليه السلام، كما هو مودَع في كتب الحديث من السنّة والشيعة (ابن قولويه، ١٤١٧ هـ : ٢٣٨، ب ٤٤، ٤٥، ٤٦ . الطبري، ١٣٥٦ هـ : ١٥١ . وينظر : ابن حنبل، ١٤١٢ هـ، ١ : ٨٥)، فمن المستبعد جدًّا خفاء هذه الروايات عليه، فتكون زيارته تنفيذًا لما أمر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحثّ عليه.

ثانياً : أنّه كان من الخواصّ الذين يتردّدون على بيت علي والزهراء وسائر الأئمّة الذين عاصرهم ورآهم ﷺ، وهي مدة غير قصيرة، فمن الطبيعي أن يسمع منهم ﷺ ما يتعلّق بأهميّة زيارة الحسين عليه السلام وفضيلتها وآدابها.

ثالثاً : إنّه بعد أن فاته شرف الجهاد مع الحسين عليه السلام والتضحية دونه، أراد أن يُثبت ولاءه لآل محمد ﷺ أمام الله والتاريخ .

ولسنا بصدد إنكار الدوافع العاطفية والشخصية بحكم علاقته القديمة بالحسين عليه السلام، بل كان ذلك واضحًا قطعًا كندائه للحسين عليه السلام ثلاثًا وتعرّضه للإغماء لشدّة وجده وتفجّعه عليه عليه السلام، وإنّما غرضنا إثبات أنّ هذه الدوافع وحدها لا تكفي لتفسير هذه الظاهرة السلوكية منه ؛ إذ إنّ ما قام به من سلوك هو سلوك خاصّ لا ينمّ عن اجتهاد منه، بل هو مستلّ من تعاليم أهل البيت ﷺ التي اتّضحت للناس بعد حين ومدة طويلة لاحقًا، والتي كان جابر مطّلعًا عليها قبل غيره لكونه من الخواصّ. وإنّ الأفكار التي تضمّنتها عباراته هي ليست وليدة تصوّراته الخاصّة، بل تعكس ثقافته الشرعية والدينية التي تلقّاها عن النبي وآله ﷺ .

حديث جامع لآداب وكيفية الزيارة :

ثمّة أحاديث جامعة لتلك الحيثيات المتقدّمة في الجملة، انتخبنا منها معتبر الحسين بن ثوير، روى ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني عن عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ يَحْيَى عَنْ جَدِّهِ الْحَسَنِ بْنِ رَاشِدٍ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ ثُوَيْرٍ قَالَ : كُنْتُ أَنَا وَيُونُسُ بْنُ ظَبْيَانَ وَالْمُفَضَّلُ بْنُ عُمَرَ وَأَبُو سَلَمَةَ السَّرَّاجُ جُلُوسًا عِنْدَ أَبِي عَبْدِاللهِ عليه السلام وَكَانَ الْمُتَكَلِّمُ مِنَّا يُونُسَ وَكَانَ أَكْبَرَنَا سِنًّا، فَقَالَ لَهُ : جُعِلْتُ فِدَاكَ إِنِّي

أَحْضُرُ مَجْلِسَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ - يَعْنِي وُلْدَ الْعَبَّاسِ - فَمَا أَقُولُ ؟ فَقَالَ : (إِذَا حَضَرْتَ فَذَكَرْتَنَا فَقُلِ : اللَّهُمَّ أَرِنَا الرَّخَاءَ وَالسُّرُورَ، فَإِنَّكَ تَأْتِي عَلَى مَا تُرِيدُ) . فَقُلْتُ : جُعِلْتُ فِدَاكَ إِنِّي كَثِيرًا مَا أَذْكُرُ الْحُسَيْنَ عليه السلام فَأَيَّ شَيْءٍ أَقُولُ ؟ فَقَالَ : (قُلْ : صَلَّى اللهُ عَلَيْكَ يَا أَبَا عَبْدِاللهِ، تُعِيدُ ذَلِكَ ثَلَاثًا ؛ فَإِنَّ السَّلَامَ يَصِلُ إِلَيْهِ مِنْ قَرِيبٍ وَمِنْ بَعِيدٍ) . ثُمَّ قَالَ : (إِنَّ أَبَا عَبْدِاللهِ الْحُسَيْنَ عليه السلام لَمَّا قَضَى بَكَتْ عَلَيْهِ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرَضُونَ السَّبْعُ وَمَا فِيهِنَّ وَمَا بَيْنَهُنَّ وَمَنْ يَنْقَلِبُ فِي الْجَنَّةِ وَالنَّارِ مِنْ خَلْقِ رَبِّنَا وَمَا يُرَى وَمَا لَا يُرَى بَكَى عَلَى أَبِي عَبْدِ اللهِ الْحُسَيْنِ عليه السلام إِلَّا ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ لَمْ تَبْكِ عَلَيْهِ) قُلْتُ : جُعِلْتُ فِدَاكَ وَمَا هَذِهِ الثَّلَاثَةُ الْأَشْيَاءِ ؟ قَالَ :(لَمْ تَبْكِ عَلَيْهِ الْبَصْرَةُ وَلَا دِمَشْقُ وَلَا آلُ عُثْمَانَ - عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ -) قُلْتُ : جُعِلْتُ فِدَاكَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَزُورَهُ فَكَيْفَ أَقُولُ ؟ وَكَيْفَ أَصْنَعُ ؟ قَالَ :(إِذَا أَتَيْتَ أَبَا عَبْدِاللهِ عليه السلام فَاغْتَسِلْ عَلَى شَاطِئِ الْفُرَاتِ، ثُمَّ الْبَسْ ثِيَابَكَ الطَّاهِرَةَ، ثُمَّ امْشِ حَافِيًا ؛ فَإِنَّكَ فِي حَرَمٍ مِنْ حَرَمِ اللهِ وَحَرَمِ رَسُولِهِ، وَعَلَيْكَ بِالتَّكْبِيرِ وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ وَالتَّعْظِيمِ للهِ عَزَّ وَجَلَّ كَثِيرًا وَالصَّلَاةِ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ حَتَّى تَصِيرَ إِلَى بَابِ الْحَيْرِ، ثُمَّ تَقُولُ : ... السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا حُجَّةَ اللهِ وَابْنَ حُجَّتِهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا قَتِيلَ اللهِ وَابْنَ قَتِيلِهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ثَارَ اللهِ ابْنَ ثَارِهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَتْرَ اللهِ الْمَوْتُورَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ...)(الكليني، ١٣٨٨هـ، ٤ : ٥٧٥ - ٥٧٦، ح٢) .

أهمّ نتائج البحث :

١. إنّ المصدر الأوّل لزيارة الصحابي الجليل جابر بن عبدالله الأنصاري بحسب ما بأيدينا من وثائق هو كتاب (بشارة المصطفى لشيعة المرتضى) للشيخ الأجلّ عماد الدين الطبري، وهو من علماء القرن السادس.

٢. إنّ سند هذه الزيارة يتمتّع بدرجة من الاعتبار ؛ وذلك لعدّة من وجوه، منها : كونها

مسندة وعدم إرسالها، طول سلسلة السند فإنّ مجموع حلقات السند بلغ اثني عشر راويًا، وهم كلّهم من أجلاء الإمامية، ومن كبار العلماء والمحدّثين، وممّن نهل من علوم أهل البيت ﷺ، ورووا فضائلهم ﷺ... إلى غير ذلك من الوجوه.

٣. المستظهر أنّ المكان الذي انطلق منه جابر في زيارته هو الكوفة ؛ لعدّة من قرائن، ولم نقبل القول بأنّه قدم من المدينة المنوّرة .

٤. إنّ تاريخ زيارة جابر كان سنة إحدى وستّين هجرية، أي : في السنة التي استُشهد فيها الحسين عليه السلام .

٥. إنّ جابرًا لم يكن مكفوفًا حين زيارته للإمام الحسين عليه السلام .

٦. إنّ الدوافع التي دفعت جابرًا لزيارة الإمام الحسين هو ما استقاه من تعاليم وإرشادات المعصومين : النبي ﷺ والأئمّة من أهل البيت ﷺ، ولم يكن تصرّفًا شخصيًا منه.

المصادر :

- القرآن الكريم

١. الأميني، عبدالحسين، الغدير في الكتاب والسنّة والأدب، دار الكتاب العربي - بيروت، ط ٤ / ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م

٢. الأنصاري، محمد حياة بن الحافظ محمد عبدالله، معجم الرجال والحديث / بدون تاريخ

٣. ابن أبي الحديد، عبد الحميد المعتزلي المدائني، شرح نهج البلاغة، دار إحياء الكتب العربية، ط ١ / ١٣٧٨ هـ = ١٩٥٩ م

٤. ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، أُسد الغابة في معرفة الصحابة، دار إحياء التراث العربي - بيروت / بدون تاريخ

٥.ابن حبان ، أبو حاتم محمد بن حبّان بن أحمد التميمي البستي ، مشاهير علماء الأمصار أعلام فقهاء الأقطار ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع – المنصورة ، الهند ، ط ١ / ١٤١١ هـ = ١٩٩١ م

٦.ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن علي ، الإصابة في تمييز الصحابة ، دار إحياء التراث العربي – بيروت / بدون تاريخ

٧.ابن حجر العسقلاني ، شهاب الدين أحمد بن علي ، تقريب التهذيب ، دار المكتبة العلمية – بيروت ، ط ١ / ١٤١٥ هـ = ١٩٩٥ م

٨.ابن حجر العسقلاني ، شهاب الدين أحمد بن علي ، تهذيب التهذيب ، دار الفكر – بيروت ، ط ١ / ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م

٩.ابن حنبل ، أحمد بن حنبل الشيباني ، العلل ومعرفة الرجال ، المكتب الإسلامي – بيروت ، ط ١ / ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م

١٠.ابن حنبل ، أحمد بن حنبل الشيباني ، مسند الامام أحمد ، مؤسسة التاريخ العربي ـ بيروت ، ط ١ / ١٤١٢ هـ = ١٩٩١ م

١١.ابن سعد ، محمد بن سعد ، الطبقات الكبرى ، دار صادر – بيروت / بدون تاريخ

١٢.ابن سورة ، محمد بن سورة ، شفاء العلل في شرح كتاب العلل المعروف بـ علل الترمذي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت ، ط ٢ / ١٤٠٣ هـ

١٣.ابن عساكر ، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبدالله الشافعي ، تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلّها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت / ١٤١٥ هـ = ١٩٩٥ م

١٤.ابن قولويه ، الشيخ الأقدم أبو القاسم محمّد بن جعفر بن محمّد بن قولويه القمّي ، كامل الزيارات ، مؤسّسة نشر الفقاهة ـ إيران ، ط ١ / ١٤١٧ هـ

١٥. البرقي ، أبو جعفر أحمد بن محمّد بن خالد ، الطبقات المعروف بـ (رجال البرقي) ، انتشارات دانشگاه طهران – طهران / ١٣٨٣هـ . ش

١٦. البخاري ، أبو عبدالله إسماعيل بن إبراهيم ، التاريخ الصغير ، دار المعرفة – بيروت ، ط ١ / ١٤٠٦ هـ

١٧. البخاري ، أبو عبدالله إسماعيل بن إبراهيم ، التاريخ الكبير ، دار الفكر – بيروت ، ط ١ / ١٤١١ هـ = ١٩٩١ م

١٨. التستري ، محمّد تقي ، قاموس الرجال ، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين – قم ، ط ١ / ١٤١٩ هـ

١٩. الخراساني الكرباسي ، محمد جعفر بن محمد طاهر ، إكليل المنهج في تحقيق المطلب ، دار الحديث – قم ، ط ١ / ١٤٢٥ هـ = ١٣٨٣ هـ . ش

٢٠. الخطيب التبريزي ، ولي الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالله ، الإكمال في أسماء الرجال ، مؤسّسة أهل البيت عليهم السلام لإحياء التراث – قم / بدون تاريخ

٢١. الخوئي ، أبو القاسم ، معجم رجال الحديث وتفصيل الطبقات ، مركز نشر الثقافة الإسلامية – إيران ، ط ٥ / ١٤١٣ هـ = ١٩٩٢ م

٢٢. الدينوري ، أبو حنيفة أحمد بن داود ، الأخبار الطوال ، دار إحياء الكتاب العربي – بيروت (منشورات الشريف الرضيّ) / ١٩٦٠ م

٢٣. الذهبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ، سير أعلام النبلاء ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط ٧ / ١٤١٠ هـ = ١٩٩٠ م

٢٤. الرازي ، أبو محمّد عبد الرحمان بن أبي حاتم محمّد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي ، الجرح والتعديل ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط ١ / ١٣٧١ هـ = ١٩٥٢ م

٢٥.الشامي المشغري ، جمال الدين يوسف بن حاتم بن مهنّد ، الدرّ النظيم ، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين – قم / بدون تاريخ

٢٦.الشهيد الثاني ، زين الدين الجبعي ، الرعاية في علم الدراية ، مكتبة آية الله المرعشي النجفي – قم ، ط ٢ / ١٤٠٨ هـ

٢٧.الصدوق ، محمد بن علي بن بابويه ، كمال الدين وتمام النعمة ، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرّسين – قم / ١٤٠٥هـ = ١٣٦٣هـ . ش

٢٨.الطبرسي ، أمين الإسلام أبو علي الفضل بن الحسن ، إعلام الورى بأعلام الهدى ، مؤسّسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث – قم ، ط ١ / ١٤١٧ هـ

٢٩.الطبري ، محبّ الدين احمد بن عبدالله ، ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى ، مكتبة القدسي – القاهرة / ١٣٥٦ هـ

٣٠.الطبري ، أبو جعفر محمّد بن جرير ، تاريخ الأُمم والملوك ، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت / بدون تاريخ

٣١.الطبري ، أبو جعفر محمّد بن جرير ، المنتخب من كتاب ذيل المذيّل من تاريخ الصحابة والتابعين ، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات ــ بيروت / ١٣٥٨ هـ = ١٩٣٩ م

٣٢.الطبري ، عماد الدين محمد بن علي ، بشارة المصطفى لشيعة المرتضى عليه السلام ، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين – قم ، ط ١ / ١٤٢٠ هـ

٣٣.الطوسي ، محمّد بن الحسن ، اختيار معرفة الرجال ، المعروف بـ (رجال الكشّي) ، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرّسين – قم / ١٤٠٤ هـ

٣٤. الطوسي ، محمّد بن الحسن ، (الأبواب) المعروف بـ (رجال الطوسي) ، مؤسسة فقه الشيعة – بيروت ، ط ١ / ١٤١١هـ

٣٥.الطوسي ، محمّد بن الحسن ، مصباح المتهجّد ، نشر الفقاهة / مطبعة النشر الاسلامي

- إيران ، ط ١ / ١٤١٧هـ

٣٦.العجلي الكوفي ، أبو الحسن أحمد بن عبدالله بن صالح ، معرفة الثقات ، مكتبة الدار - المدينة المنورة ، ط ١ / ١٤٠٥ هـ

٣٧.العصفري ، خليفة بن خيّاط ، طبقات خليفة ، دار الفكر - بيروت / ١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م

٣٨.العلامة مجلسي ، محمّد باقر ، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار ، مؤسّسة الوفاء - بيروت ، ط ٢ / ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م

٣٩.العلامة المجلسي ، محمّد باقر ، زاد المعاد ، مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت ، ط ١ / ١٤٢٣هـ

٤٠.العلامة المجلسي ، محمد باقر ، الوجيزة في الرجال ، وزارت فرهنك وإرشاد إسلامي طهران ، ط ١ / ١٤٢٠ هـ

٤١.أبو طالب القاضي ، علل الترمذي الكبير ، عالم الكتب - مكتبة النهضة العربية - بيروت ، ط ١ / ١٤٠٩ هـ = ١٩٨٩ م

٤٢.الكليني ، محمّد بن يعقوب ، الكافي ، دار الكتب الاسلامية - طهران ، ط ٣ / ١٣٨٨هـ

٤٣.المزّي ، جمال الدين أبو الحجاج يوسف ، تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط ٤ / ١٤١٣ هـ = ١٩٩٢ م

٤٤.المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط ١ / بدون تاريخ

٤٥.المفيد ، أبو عبدالله محمد بن محمد بن النعمان ، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد ، مؤسسة آل البيت ^ لإحياء التراث - قم ، ط ١ / ١٤١٢هـ